روائي وليس دكتاتوراً !

قاسم محمد عبّاس

تتناقل الصحف وبعض المواقع الإلكترونية أخبارا تتحدث عن انشغال عائلة صدام حسين بنشر آخر روايات الرئيس السابق ، وقد اختارت العائلة العاصمة الأردنية عمان لتطبع الرواية في أحدى مطابعها، حيث يقيم معظم أفرادها. هذه الرواية التي كتبها صدام قبيل الحرب الأخيرة بمدة حملت عنوانا غريبا: (اخرج منها يا ملعون).
ومع أن بعض الصحف تسلمت نسخا من غلاف الرواية للتبشير بهذا العمل الروائي النبوءة الذي تنوي عائلة الروائي توزيعه في العواصم العربية والعالمية، لكن الرقيب الأردني منع الرواية كونها قد تضر بالعلاقات بين البلدين.
الناشر ذكر أن رغد ابنة صدام التي تعيش في عمان أعطته الإذن لنشر الكتاب وقد كتبت فيه إهداء إلى الروائي المسجون لدى قوات الاحتلال الأمريكية. وكانت نسخة من الكتاب محفوظة في وزارة الإعلام العراقية بانتظار نشرها عندما بدأت الحرب.
ومع اقتراب محاكمة الرئيس "الروائي فكرت العائلة بطبع الرواية، فحصلت على النسخة المنضدة من الرواية بشكل أو بآخر من مخازن إحدى الدوائر الثقافية ببغداد لأن تزامن طبع الرواية مع اقتراب محاكمة كاتبها سيضفي بالطبع مناخا دراميا على القراء الذين سيقرؤون عن " حسقيل " .أحد الأسماء التي عقدت الراوي زمنا . الذي ينتقل من مدينته إلى مدينة أخرى اسمها (المضطرة) ويقصد الروائي (المحاصرة) فيحوك حسقيل هذا مؤامرات عدة لطرد شيخ المدينة (سالم).وهناك تدور أحداث الرواية إلى أن تقوم بطلة الرواية (لذة) ابنة الشيخ بمساعدة أحد فرسان العرب من أهلها بإخراج (حسقيل).
وكما هو الحال مع الفهم الروائي للدكتاتور الذي لم يرغب في أن يرهق القارئ باللجوء إلى التأويل والاستعانة بالنظريات النقدية لتفكيك عقدة الرواية، مع أن تجربته الروائية بدأت منذ " زبيبة والملك "، و" رجال ومدينة "، وحتى خروج الملعون من المضطرة.فالشيخ هو صدام الروائي وليس الدكتاتور،وان قال كُتّاب ومفكرون عراقيون إن الدكتاتور لم يكتب هذه الروايات بنفسه، وإنما أمر لجنة من الروائيين للقيام بذلك، وهذه وحدها فكرة روائية نادرة.يعتقد النقاد إنها موضوعة مؤثرة وكبيرة لرواية جديدة.
وتدور رواية "اخرج منها يا ملعون" حول قصة سالم الذي يهزم في الرواية طبعاً أعداءه الأمريكيين واليهود. وشخصية حسقيل هي بوش روائيا بالطبع، أما لذة وهنا مربط الفرس فهي رغد ابنة الروائي الرئيس التي تنقذ العراق (ونقصد المضطرة) من حسقيل. والدليل على هذا التحليل إن ابنة الرئيس قدمت الروائي الأب بهذه الكلمات: إلى نبض الفؤاد، إلى مقلة العين، (هذا من حقها على المستوى الشخصي) أما أن تقول: (إلى أب العراقيين، إلى مصنع الرجال والأبطال، إلى من علمنا كل المعاني الغالية، إلى من زرع فينا حب الوطن والتضحية منذ نعومة أظفارنا) فهذا ما أثبتت الوقائع عكسه، فلم يكن الروائي أباً لقتلاه، ولم يكن مصنعا إلاّ لثرم الأجساد وانتاج المقابر الجماعية.
وذكرت ابنة الروائي في سطر آخر: (إلى الذي تجسدت فيه كل معاني البطولة والتصميم والشجاعة والعز)، فهذا ما سيعترض عليه النقاد قبل المحللين السياسيين لأن العالم رأى وعبر شاشات التلفزة عكس ذلك تماما، وأحداث الحفرة التي كتب فيها الروائي الفصل الأخير من روايته رآها العالم أجمع، واستسلام فم الروائي لبطارية الجندي الطبيب، وهو يستعرض أسنانه شاهد حي على معنى آخر غير البطولة والشجاعة إلى الحد الذي تمنى فيه قراء الروائي لو أن الروائي عض بأسنانه على مصباح الطبيب اليدوي احتجاجا، وهذا ما لم يحدث.
أما الجملة الأخيرة التي كتبتها ابنة الروائي على غلاف الرواية فهي: (يا من رفعت رؤوسنا ورؤوس العراقيين والعرب والمسلمين والشرفاء عاليا، نقدم لك ذوب أنفسنا). فنتركها للعراقيين يحكمون عليها، وللعرب أن يتأكدوا من رفعة الرأس الروائية بالتأكيد. وللمسلمين ليروا أن الروائي الجائر وعائلته بحاجة إلى كلمة حق نقدية، وهو ما فعله اليساندرو جالينزي من دار هيسبيروس للنشر وهو يعتذر عن نشر الرواية بالإنكليزية عندما قال: قرأناها فوجدنا أن قيمتها الأدبية قليلة. ولا أعتقد أن هذه (الرواية) تفي بالمعايير الأدبية. ويأمل النقاد ألا يعترض الروائي ويغضب من رأي الناشر.

نساء عفيفة لعيبي
صلابة المرمر وسحر أضواء الكلاسيك

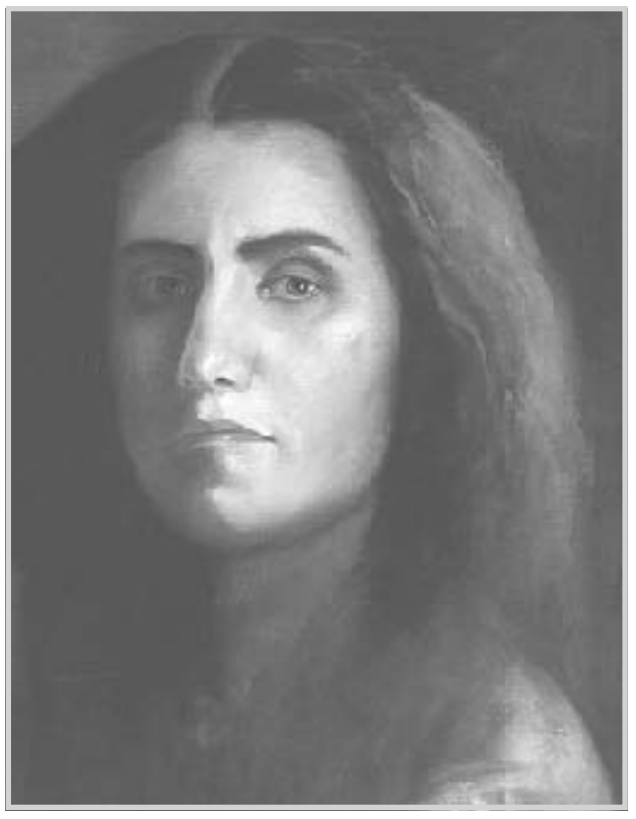

فاطمة المحسن

المرأة التي ترسمها عفيفة لعيبي، تكاد تكون وجودا أثيريا، تلك الاستدارات الباذخة لخطوط جسدها تجعل منها مثالا للشهوة الممتنعة، تنأى بها عن مواصفات الموديل، او المنظور الحسي للموديل، لتحولها الى ما يستعصي على عادات الإيروتيك. تغريب عفيفة للمرأة يتجلى في التأكيد على إنتسابها الى خيال الايقونات، نساء الأساطير وربات المعابد.
ترسم عفيفة الجمال الانثوي وهي تتمعن قبل كل شيء في الفن التشكيلي ذاته. انها توظف ذاكرة التذوق ليطل أمامها عصر النهضة، مفردة للتعبير عن الغموض في الايماءات الخفية التي تزخر بها شخصيات النساء، سحر أضواء الكلاسيك وغنى ألوانه وبنيانه الرياضي العقلي وتطلعه الى الكمال، كل تلك المكونات تدخل في مختبر عفيفة لعيبي لتتحول الى نظام يخدم الحضور الراسخ لوحدة المرأة وغربتها، صمتها وسكونها المؤبد.
غير ان بمقدور الرسامة التلاعب بالاحساس بالوجود المسيطر لهذه المرأة، الهدوء الذي لا يتجلى في التعبير عن الانفعال، بل بالتجاوب بين مفردات اللوحة ذاتها. انها تنحت نساءها او تحيلهن الى منحوتات حيث تبرز الروح من خلال وجودها في المكان وتناظرها معه، ليغدو موضوع المرأة خارجا عن المضمون، مكتفيا بكبرياء المادة الحجرية وخلودها.
نوع من التعالي الذاتي تسبغه الفنانة على نسائها لتعفيهن من تبعات الموضوع او تجعل المضمون يتجرد من شروطه الخارجية.
على هذا الاساس تميزت عفيفة لعيبي عن غيرها بإبتعادها عن الفولكلور وشرطه الاجتماعي، فليس بمقدورنا الامساك بهوية محلية للمرأة التي ترسمها، فهي تزيح كل ماهو عارض لتبقي الجوهر في تساميه ولازمنيته.
مرت عفيفة لعيبي التي ولدت بالبصرة ١٩٥٢، بتجارب مختلفة، وبرزت رسامة في السبعينيات ببغداد ثم تجولت في عدد من البلدان واستقرت في ايطاليا، ليتبلور أسلوبها الذي جعل عملها من بين تجارب التشكيل العراقي المهمة.
أصبحت معارض عفيفة لعيبي المقيمة الان فيما بين هولندا وايطاليا، موضع إقبال الاوربيين، ولوحاتها تباع باسعار مجزية.ولعل تجاربها التي تمخضت عن هذا الإسلوب لها صلة بدياياتها الاولى، فمع انها مرت بمراحل الالتزام السياسي، وانتمت الى اليسار، غير انها لم ترسم الموضوع النضالي، إلا على قدر من التجريد الانساني في لوحة أو لوحتين. كما لم تقترب من مواضيع الحياة الشعبية، وشغلتها رومانسية النساء والوجود الحالم لهن، تخففت لاحقا من غنائية موضوعها الشكلانية، والاجنحة المحلقة والثياب المرفرفة، لتتجه بمادتها نحو المثال الكلاسيكي، موضوع الجمال الحر الذي لايثقل نفسه بالعواطف. الوحدة والصمت يلفان عوالم المرأة التي ترسمها، غير ان مظهرها النحتي يقربها من الكمال، من رمزية تنأى بها عن الحزن العارض.
الكثير من لوحاتها أشبه بلمسات من مسرحيات ناقصة، تعبير جسد المرأة ووجوده في المكان يقارب الاكتمال، ولكن الاشياء التي حولها تتجاوب على نحو يزيد او ينقص من حوارها مع هذا الجسد، فمرة تتحول الاشجار الى أشياء متحركة وأخرى الى سكون يؤبد وحشة الوجود ذاته.ومرات تتحول الطاولة او الكرسي او المهرج والبالون والنافذة الى رموز، ترحل عبرها المخيلة الى افاق بعيدة او تنشغل بعوالمها البيتية الصغيرة، ولكن المرأة الثابتة هي التي تمنحها هويتها. بعض مسرحها اسطوري يذكر بغابات هنري روسو أو بجناته المفقودة، وهي ملاذات للنساء الحالمات من جيل الرسامات قبلها وبينهن سعاد العطار. غير ان الوضوح والصرامة مع الشكل ما يميز خطوطها، فهي تجسد وتمعن في التوضيح وألوانها مشبعة بالبريق والسطوع. المهارة الاكاديمية تعنيها قبل كل شيء، فهي وسيلتها لتجسيد الترف والخصب والرواء في جسد المراة.
رقة الرجل وأنوثته في لوحات التواصل التي ترسمها عفيفة، وهي جد قليلة، يبدو فيها الحب لعبة طفولية، او فيض أمومة تمنحها المرأة لشريكها، ثم تعود مكتفية بذاتها، راسخة مثل بنيان تهشمه العوارض، ولكنها لاتكسر صلابة روحه. ولكن نساء الفترينات في لوحة عفيفة، عارضات الجسد، هن الاغرب في موضوع الحب، فجمالهن سحري بايماءته المقتصدة، وخطوط أجسادهن ببنياتها القوية، تبدو وكانها تتخطى الجمال الشهواني، أي الهيئة التي تلامسها الحواس وتتجاوب معها، الى التعبير الروحي الذي يقدم الجسد وكانه يعيش طقس الظلال والالوان التي تحف به، هدوء التبطر وحرية الفتنة الرومانسية للأنوثة في اكتشافها ذاتها بعيدا عن اعين الاخرين.
حساسية عفيفة ازاء الالوان، يوازيها الاهتمام بالمادة العضوية كمقترب رمزي، فالبساطة التي تستخدم بها الرمز، تقف مقابلها تلك البداهة التي تتعامل بها مع حدوسها، فهي تهتم بالعجينة التي تمسك بها، وجودها الحسي المفعم بالحيوية، ولا تقيم كبير وزن لحذلقات الحداثة. ويكاد هذا الامر يجعل مواضيعها ثابتة غير مضطربة، ولكنها تبدو وكأنها تدور في حلقة مفرغة، حلقة الاكتمال والرضا عن النفس.

بصرة السبعينيات بعين كاتب هندي

شاكر الأنباري

قليلة هي الأعمال الأجنبية التي تناولت واقع مدينة عربية بعينها من قبل كتاب شرقيين غير عرب، فرؤية الاستشراق الاوربي اصبحت معروفة للقارئ العربي، اما كيف ينظر الهنود او الصينيون او اليابانيون، وهم يختلفون جذريا عن ثقافتنا العربية، انما هو أمر جدير بالاهتمام والتأمل. والكاتب الهندي فيلاس سارانك واحد من الكتاب النادرين الذين خاضوا في هذا الفضاء المغاير لتقاليده ودينه ولغته. ولد في الهند عام ١٩٤٢، ويعمل رئيسا لقسم اللغة الإنكليزية في جامعة بومباي. درّس الأدب الانكليزي في جامعة البصرة بين الاعوام ١٩٧٤-١٩٧٩، ويكتب بلغتين، المراثية والانكليزية. نال عن روايته هذه (في بلاد الاله انكي) جائزة الدولة وجائزة موكاشي، وقد اختيرت اعماله ضمن انطولوجيا الكتابات الجديدة في الهند، التي اصدرتها دار بنغوين البريطانية.
تأتي اهمية رواية فيلاس سارانك من كونها قرأت حقبة مهمة من تاريخ البصرة، المدينة التي شهدت ضربات حربين متتاليتين، وانفلش فيها ذلك العالم القديم الذي كتب عنه سارانك بحب وفضول وغرابة. البصرة وكما وصفها فيلاس سارانك في روايته، مدينة للنخيل والاهوار والسفن القادمة من اصقاع الارض، تتخللها قنوات شط العرب العاجة بالروائح المزعجة، ودروبها ضيقة ونساؤها يرتدين العباءات السود، او يقفن خلف الشبابيك الخشب يترصدن الرجال. شحاذون ومهربون الى ايران وبحارة يتصيدون المتعة في الحانات وبيوت طينية عليها آثار حضارات عتيقة وصحارى تمتد الى الكويت والسعودية. وليس بعيدا عن البصرة تنفرش الاهوار الغاصة بالاوز والخنازير البرية والبط، حيث لايزال احفاد السومريين يمخرون عباب الماء لصيد السمك وزراعة الرز ورعاية الجاموس.
من تلك الاصقاع جاء الاله انكي وجلجامش وحمورابي وغيرهم ممن كانوا مستبدين عتاة، حكموا الشعب باسم الآلهة وزرعوا الخوف في قلوب الرعايا. وهنا يربط سارانك بين التاريخ القديم والتاريخ الحديث، فيجد وكأن الحياة لم تتغير في نحت مصير هذا الشعب الذي ادمن الحروب وعسف الحكام.
بطل الرواية برامود، وهو استاذ في الادب الانكليزي تخرج في اميركا وجاء الى البصرة ليدرس في جامعتها ابان حقبة السبعينيات، ووجد نفسه في عالم جديد عليه رغم انه ينتمي الى الشرق. انه هندوسي الديانة، يعيش للمرة الاولى وسط بيئة مسلمة، ترعرع ونما وعاش في اجواء ديمقراطية كالهند واميركا، والفى الجامعة اشبه بقفص يهيمن عليه الحزب الواحد والاجواء العسكرية الخانقة، اما الانفتاح الاجتماعي فكان له معضلة بسبب تزمت العادات، وغياب الحرية الفردية سواء للرجل ام المرأة. كان اول ما فاجأ برامود حين دخل مطار بغداد مصادرة ضباط المطار مذياعه لانه يحمل محطة اف.م، اما جلبه لآلة كاتبة وادخالها سرا الى العراق فكادت ان تسبب له ازمة نفسية هائلة. قائمة الممنوعات لايمكن الا لعراقي ان يحصيها ويفلت من عواقبها، وبرامود مع انه شرقي الا انه اكتشف كيانه في شرق آخر، هو شرق مهد الحضارات الذي قرأ عنه، لكن التاريخ شيء والحاضر شيء آخر مختلف.
يلامس الكاتب البعد الميثولوجي في حياة البصرة او العراق، ويكثف مشهده الروائي ليخلق مستويات عدة ويرسم بنية رمزية عميقة تتوارى خلف السرد الواقعي الذي يظهر على السطح. فبالرغم من ان شخصيات الرواية واقعية وتعيش اجواء البصرة، والعراق عامة، الا ان حواراتها وحركتها في ذلك الحيز المغلق تكشف عن البعد الكامن في المجتمع. البعد الذي لا يظهر الا بالمعايشة والقراءة المتأنية. وقد شكل موضوع الحرية ازاء الاستبداد محورا رئيسيا من محاور هذه الرواية، وبسبب شرقية الكاتب، يحس القارئ ان الروائي ينتمي الى هذا الواقع، غير متطفل عليه، ولا اسيره، وقد تمكنت روايته من احتواء الزمان والمكان والتحولات التاريخية التي حدثت في البصرة، لا بمعنى التوثيق او الاستذكار، بل بتكييف الواقعة التاريخية في الحدث الروائي، فالبصرة لم تبق كما سمع عنها في الف ليلة وليلة ميناء للسندباد بحكاياته العجيبة عن البحار والبلدان، انها وكما وجدها خليط من البشر الذين توافدوا اليها للعمل في الشركات والموانئ والمطارات. فهناك الهنود والفرنسيون واليابانيون والامريكيون الذين شكلوا جالية صغيرة من النساء خاصة، تقضي ايامها بالنميمة والتحسر على اوربا والحلم بالمغادرة الى بلد بعيد. البلد يهيئ نفسه لمغامرة غير معروفة، وتجري تحت السطح امور يصعب على اجنبي ادراكها، ورغم وداعة البصرة المخاتلة، لكن ما يدور يسترعي الاهتمام: تهريب عملة وهجرات مباغتة وأوامر تسقط على المدينة وجامعتها بشكل غير متوقع.
كانت البصرة بندقية الشرق كما قيل لبرامود، لكنها اليوم تختنق تحت ثقل الفقر والتخلف والهيمنة السياسية وملاحقة المعارضين، اذ لاحظ الاستاذ برامود اختفاء طلبته واحدا اثر آخر، ولاحظ آثار الضغط النفسي الذي يتعرض له الطلبة، كما لاحظ الحذر الشديد الذي يعيش في دواخل العراقيين. ومن خلال الجالية الهندية المستقرة في البصرة، عرف ان افضل السبل للسلامة في هذا البلد هو ان يبتعد الانسان عن السياسة، ربما هذا ما قاد برامود الى الاتجاه نحو اكتشاف المدينة، والتعرف على روحها، اذ رغم التزمت الاخلاقي وجد المقاصف الليلية غاصة بالرجال، ورغم الانغلاق الاجتماعي الا ان ثمة اماكن للدعارة والخمور والنزهات الليلية. دخل الى حياة هذه المدينة عن طريق صديقه نصف اللبناني ونصف الفرنسي فرانسوا، وعن طريق شلة من الارستقراطية العراقية المتزوجين من اجنبيات، صار برامود يعيش في سكينة الاكتشاف الحذر الذي كان يقوده دائما الى معرفة ان المرء هنا لا يستطيع الوصول الى البحر لان هناك مواقع عسكرية تمنع الاقتراب منها، وان اي مفرزة في الطريق لها الحق بالتفتيش والاستجواب عن مكان الذهاب واسبابه، اما الزواج من امرأة اجنبية فقد الغي بقرار صارم من الرئيس، وثمة امور تظل غامضة لهذا الاستاذ الهندي الذي جاء الى شرقه الأليف اول مرة.
قيل له ان في الشمال اقواما تسمى الاكراد، وهم ينقلون الى الجنوب لكي يتم ادماجهم في بقية الشعب المتحدر من اصول عربية، وقيل له ان هناك مطاردة للشيوعيين رغم ان سياسة البلد اشتراكية، وهذا ما جعله يرسم لوحة سوريالية لا للبصرة فقط، بل للبلد ككل، ومن تلك اللوحة المشغولة بحب للمدينة، يمكن رؤية السحب المعتمة التي تجمعت في الافق، وضربت بعنفوانها بعد سنة فقط، لا البصرة التي عاش فيها برامود، بل العراق كله، اذ جاءت الحرب مع ايران لتقوض ذلك الهدوء والرتابة، اللذين سيطرا على تلك المدينة خلال قرون طويلة.

*الرواية: في بلاد الاله انكي/الكاتب: فيلاس سارانك/المترجم: سهيل نجم/الناشر: دار نينوى ٢٠٠٢

من المكتبة العربية

توماس وولف: مختارات من فنه القصصي

المؤلف: توماس وولف
المترجم: سميرة عزام
الناشر: المدى للثقافة والنشر والتوزيع
٢٠٠٥

عالج توماس وولف بعنف شيطاني ما أسماه معجزة الحياة العجيبة المريرة، المعجزة التي لمسها في نماذج من الاضداد. ويبدو أنه كان يرى في عناصر الحياة والفن مجرد مجموعة من الأجزاء المتناقضة، فما من شيء يعني له شيئا الا اذا ظهر نقيضه، ويعتبر رصد هذه الأضداد من أشد خصائص أدبه وضوحاً.

وجوه القائد

المؤلف: منى خويص
سنة النشر: ٢٠٠٥
الناشر: دار الساقي للطباعة والنشر

على الرغم من التحولات التي طرأت على الانظمة السياسية الأبوية ذات النظام الأحادي، فإن الحديث عن الفرد-القائد-الزعيم والانقياد الجارف من الجماعة خلفه باعتبار "الأب" والرمز الملهم، لا يزالان يرخيان بظلالهما على المجتمعات كظاهرة متجددة ومستمرة في ماضي التاريخ وحاضره ومستقبله.لماذا؟ هذا ما يحاول الكتاب الاجابة عنه، كما يسعى الى تشريح السلوك القيادي محاولا النفاذ منه الى تقديم صورة متكاملة عن الشخصية القيادية في كل أوجهها، وتسليط الضوء على مكامن ضعفها وقوتها، وكيفية تشكلها والمواصفات التي تتسم بها والسبل المستخدمة لتعزيزها ولجعلها أكثر تأثيراً ومهابة.

نظائر ومفارقات: استكشافات في الموسيقى والمجتمع

المؤلف: إدوارد سعيد و دانيال بارنبويم
المترجم: نائلة قلقيلي حجازي
سنة النشر: ٢٠٠٥ الناشر: دار الآداب

هذا الحوار الساحر بين اثنين من أبرز شخصيات الثقافة المعاصرة، دانيال بارنبويم، مدير الشؤون الموسيقية لأوركسترا شيكاغو السيمفونية ودار الأوبرا الالمانية، وادوارد سعيد الناقد الأدبي البارز والعالم الأخصائي والقيادي حول الشرق الأوسط، نشأ من حوارات قاعة كارنغي الشهيرة. إنه نقاش فريد من نوعه وملتهب حول السياسة والثقافة، ويتطرق الى مواضيع مختلفة جدا: أهمية الاحساس بالمكان؛ الفرق بين كتابة النثر والموسيقى؛ بيتهوفن مؤلفاً أعظم لسوناتا؛ صعوبة عزف فاغنر؛ الصوت في مسرحية مدينة بايرويت؛ الكتاب بالزاك وديكنز وأدورنو؛ أهمية الأساتذة الكبار؛ وقدرة الثقافة على تجاوز جميع الفوارق القومية والسياسية.ورغم أن لكل من بارنبويم وسعيد وجهة نظره المختلفة جداً، الا أنهما يعملان كمادة حفّازة للآخر. أصالة أفكارهما تجعل هذا الكتاب سهل المنال ويفرض نفسه بقوة على كل من يهتم بثقافة القرن الحادي والعشرين.

روح الشاعرة

تأليف :ظبية خميس
الناشر: نفرو للنشر والتوزيع القاهرة
٢٠٠٥

(روح الشاعرة) ديوان ظبية خميس الجديد، يحتوي على أربع وثلاثين قصيدة متنوعة البوح والهوى والأوجاع والظلال، وإن كُتبت خلال عامين، إلا أن القارئ سيشعر أن بين القصيدة والأخرى أعواماً من التجارب والتأمل، ليس من روح القصائد وحسب، بل من حيث أسلوبها وموسيقاها الداخلية وطبيعة انسجام مفرداتها، وهو ما يشي بحالة شعورية متكاملة الأبعاد تسبغ على كل موضوع قصيدة، قالبه المناسب، محكم الصنعة ومتواتر الدفق: الظلال التي تلاشت من أمامي/ ذرت الريح بقاياها/ حملت ما تبقى من نبتة الظلال تلك/ وسرت باتجاه الشمس